

غالب بن عبد الله الليثي، صحابي زاهد، شجاع، كان يستعمله النبي - ﷺ - كعين له لجمع المعلومات (رجل مخبرات).



سرية

غالب بن عبد الله الليثي

رمضان سنة ٧ هـ

وكان غالب - رضي الله عنه يقول : "أيها الناس احمدا الله على ما أبلاكم، وسلوه يزدكم، وادعوه يجبكم" (١).

وفي هذا الشهر الكريم من العام السابع للهجرة، بعث النبي - ﷺ - هذا الصحابي الجليل في مائة وثلاثين جندياً، إلى بعض قبائل غطفان، وهي في هذا الوقت من ألد أعداء الإسلام، وقد شاركوا في معركة الأحزاب مع المشركين سنة ٥ هـ.

إذن فهو درس تأديبي من قائد الأمة لإعداد المسلمين .

ذاتية ومبادرة وإيجابية

وكان دليل هذه السرية: يسار مولى رسول الله - ﷺ -

والسبب في كونه دليل السرية، أنه بادر وتطوع قائلاً للنبي - ﷺ -: يا نبي الله اني قد علمت غرة من بني عبد بن ثعلبة [من غطفان]، فأرسل معي إليهم، فأرسل معه غالباً في هذه السرية (٢).

فهي الذاتية المتقدمة، والمبادرة الجادة، والإيجابية المعهودة عن صحابة رسول الله

- ﷺ -

فزحفوا نحو ساحات الغادرين من بني غطفان، وهجموا عليهم جميعاً، ووقعوا في وسط محالهم، وقتلوا من أشرف لهم، واستاقوا نعماً وشاء، ولم يأسروا أحداً.

(١) سليمان بن موسى الكلاعي : الاكتفاء (٤ / ١٨٧).

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد / ٦ / ١٣٣.

~~قصة المتعوز :~~

وفي هذه السرية قتل أسامة بن زيد نبيك بن مرداس بعد أن قال : لا إله إلا الله ! فلما قدموا وأخبر النبي ﷺ ، كبر عليه ، وقال : " أَقْتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟ " فقال : إنما قالها متعوذاً ، قال : " فهلا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب ؟ " (١) .

وفي رواية : قَالَ : " مَنْ لَكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ !! " فَمَا زَالَ يُكْرِّرُ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، حَتَّى تَمَنَّى أَنْ يَكُونَ أَسْلَمَ يَوْمَئِذٍ ، وَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْطِيَ اللَّهُ عَهْدًا أَلَّا أَقْتُلَ رَجُلًا يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : - " بَعْدِي ؟ " ، فَقَالَ أُسَامَةُ : بَعْدَكَ .

فَاللَّهُ وَحْدَهُ يَعْلَمُ السِّرَّ ، ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [النمل : ٧٤]

لا تخض في عقائد المسلمين .



(١) انظر: أحمد ٥ / ٢٠٧ وغيره.

(٢) زاد المعاد، (٣ / ٣١٦) والقصة في البخاري، على خلاف بين أهل السير في أي السرايا موضعها، وقد تابعتُ في ذلك ابن سعد فيها ذهب .

ذو القعدة ٧هـ

لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً :

خرج المسلمون متسلحين بكامل سلاحهم، وكانما هم ذاهبون لقتال لا لعمرة، وذلك من باب الحيلة والحذر، والاستعداد لأي مواجهة أو غدر من المشركين، وفي نفس الوقت تغيير نياتهم إن كانوا قد عزموا على الخيانة.

وأحرم النبي -ﷺ- من ذي الحليفة، وساق معه الهدى، ستين بدنة^(٢)، ينحرها في مكة، فلما كان قريباً من مر الظهران بعث محمد بن مسلمة بالخيـل والسلاح أمامه.

وما إن اقترب المسلمون من مكة بهذا المنظر المهيّب، والأسلحة والتلبية، وفي مقدمة المسلمين مائتا فارس بقيادة محمد بن مسلمة؛ حتى سمع المشركون فتأبطوا شراً، وضربوا أخماساً لِسُدَّاسٍ فأرسلوا خبيثهم مِكْرِرَ بْنَ حَفْصٍ - وكان نذلاً رذلاً - في نفر من قریش، ليخوفوا المسلمين..

فأقبل مكرز على رسول الله ﷺ - بوجه عابس كابس، في موضع يسمى " بطن
يأجج" يبعد عن مكة بثمانية أميال.

فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ مَا عَرَفْتَ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا بِالْغَدْرِ تَدْخُلُ بِالسِّلَاحِ الْحَرَمَ عَلَى قَوْمِكَ، وَقَدْ شَرَطْتَ أَلَّا تَدْخُلَ إِلَّا بِسِلَاحِ الْمُسَافِرِ السَّيُوفِ فِي الْقُرْبِ .

(١) علماً أنه أسلم في العام الماضي، عام الحديبية [انظر: أسد الغابة (١ / ٨٨١)]، وليس السبق لمن سبق إنما السبق لمن صدق.

(٢) البَدَنَةُ بالهاء تقع على الناقة والبقرة والبعير الذَّكَرُ مما يجوز في الهدْيِ والأَضاحي وهي بالبُذْنِ أَشْبَهُ ولا تقع على الشاة سَمِيَتْ بَدَنَةً لِعِظْمِهَا وَسَمَنِهَا وجمع البَدَنَةِ البُذْنُ وفي التنزيل العزيز والبُذْنُ جعلناها لكم من شعائر الله [لسان العرب (١٣ / ٤٧)]

فقال رسول الله - ﷺ - : "لَا نَدْخُلُهَا إِلَّا كَذَلِكَ" .. ثُمَّ رَجَعَ مَكْرَزَ سَرِيعًا بِأَصْحَابِهِ إِلَى مَكَّةَ فَقَالَ : إِنَّ مُحَمَّدًا لَا يَدْخُلُ بِسِلَاحٍ وَهُوَ عَلَى الشَّرْطِ الَّذِي شَرَطَ لَكُمْ^(١) .

ووضع الرسول - ﷺ - السلاح خارج الحرم وأبقى عليه، مائتي فارس بقيادة محمد بن مسلمة، وهم على أتم الاستعداد لمواجهة أي حركة غدر من المشركين، فالمسلمون محرمون، ولو مال المشركون عليهم ميلة واحدة وهم في الحرم؛ لأبادوا المعتمرين جميعًا .

ودخل رسول الله - ﷺ - مكة، وطنه، التي أخرج منها منذ سنين، ها هو اليوم يدخلها معتمرًا زائرًا كالغريب، وقد وَقَّتْ له المشركون ثلاثة أيام فقط ويخرج .
الواحد منا إذا نزل مكة المكرمة؛ لا يكفيه فيها ثلاثة أيام ، ففي ذلك مشقة كبيرة، ولن يتسنى له أن يشبع قلبه من طول النظر إلى البيت، وكثرة التنفل والطواف، والشرب من ماء زمزم، وزيارة الأماكن المباركة في مكة .
أما هؤلاء القُساة، الذي عقّوا ولدهم، وتنكروا لسيدهم وابن سيدهم، فقد وقتوا له ثلاثة أيام ، وهم بعد ذلك في حل من أمره .

☞ الحرب النفسية :

وأشاعت قريش شائعة باطلة؛ أن "مُحَمَّدًا وَأَصْحَابُهُ فِي عُسْرَةٍ وَجَهْدٍ وَشِدَّةٍ"^(٢) .
☞ قال ابن عباس : صَفَّوْا لَهُ عِنْدَ دَارِ النَّدْوَةِ لِيَنْظُرُوا إِلَيْهِ، وَإِلَى أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - الْمَسْجِدَ اضْطَبَعَ بِرِدَائِهِ، وَأَخْرَجَ عَضْدَهُ الْيُمْنَى ، ثُمَّ قَالَ :
"رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا أَرَاهُمْ الْيَوْمَ مِنْ نَفْسِهِ قُوَّةً!"^(٣) .

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]

والهزيمة النفسية للعدو، قوة !

إنه يطوف بالبيت، يعبد الرب، ويرهبُ العدو، كذا المسلم دومًا، قوته تنبع من عبادته، كلما استذل للرب، أذل العدو، وكلما خاف الرب، خاف منه العدو .

(١) انظر: مغازي الواقدي (٣/ ٧٣٤)، طبقات ابن سعد (٢/ ١٢١) .

(٢) ابن هشام - (٢ / ٣٧٠) .

(٣) ضعفه الألباني في تحقيق فقه السيرة، ٣٦٤ .

ثُمَّ اسْتَلِمَ - الرَّكْنَ ، وَخَرَجَ يَهْرُولُ وَيَهْرُولُ أَصْحَابُهُ مَعَهُ، حَتَّى إِذَا وَارَاهُ الْبَيْتُ مِنْهُمْ وَاسْتَلِمَ الرَّكْنَ الْيَمَانِيَّ ، مَشَى حَتَّى يَسْتَلِمَ الرَّكْنَ الْأَسْوَدَ، ثُمَّ هَرَوَلَ كَذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَطْوَافٍ وَمَشَى سَائِرَهَا ^(١) .
فَكَانَتْ سُنَّةً .

عند ذلك قال المشركون بعضهم لبعض : هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم؟ هؤلاء أجلد من كذا، إنهم لينفرون نفر الطَّيِّبِ^(٢١)

لقد كان مشهداً مهيباً عجبياً، عندما دخل المسلمون الحرم .
وي ! كيف كانت مشاعرهم عندما وقعت أعينهم على الكعبة التي حرموا رؤيتها .
لقد رقت القلوب، وانهمرت الدموع، وخشعت الأصوات :
لبيك اللهم لبيك ! لبيك لا شريك لك لبيك ! إن الحمد والنعمة لك والملك لا
شريك لك !

ولأول مرة ترفع تكبيرة التوحيد، وتخفّض تكبيرة الشرك، مكة تهتز هزاً بتكبير القلوب الموحدة الصادقة، ولكأنّي أنظر إلى جنّات مكة، شوارعها وأزقتها، ومنازلها سهولها وحزونها، تهتز طرباً بتكبير رسول الله ﷺ - وأصحابه الكرام .

الرسول ﷺ - يطوف، وأصحابه الكرام حوله، متوشحون السيوف، محذقون برسول الله ﷺ، - يخشون عليه، يلبنون في خشوع، على وجوههم نصرۃ الإيۡمان، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ - رضي الله عنه - آخِذٌ بِخِطَامِ نَافِثَةِ الشَّرِيفَةِ : يَقُولُ

خَلَّوْا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ ... خَلَّوْا فِكْلَ الْخَيْرِ فِي رَسُولِهِ

يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ... أَعْرِفُ حَقَّ اللَّهِ فِي قَبُولِهِ^(٣)

وكبار المشركين فوق الجبال حقداً وغماً، أن يروا المسلمين يطوفون بالبيت، وعامة الناس جلسوا فوق البيوت وعلى الطرق، ينظرون إلى الصحابة - رضى الله عنهم -

(۱) ابن هشام (۲ / ۳۷۰).

(٢) السرة الحلية - (٢ / ٧٨١).

(۳) ابن هشام (۲ / ۳۷۴).

السيرة النبوية

وبعضهم عند دار الندوة، يتأملون طوافاً رائعاً لم يُر مثله قط، ينظرون عبادةً خاشعة لم تعهد في ذلك الحرم الذي يطوف به الجاهليون على مر القرون عرايا يصفرون ويصفقون، ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥]

يتأملون حُب أصحاب محمد محمداً - ﷺ -، في إعجاب وإكبار .

✍ **حتى قال بعض المشركين :** والله لم أر الله قط يُعبد حق العبادة كالיום .
سعى المسلمون بين الصفا والمروة .. فكانوا فيه أشد جلدًا وقوة من الطواف .
وحانت الصلاة، فاعتلى بلالٌ - رضي الله عنه - الكعبة، فأذن، فكانت هي المرة الأولى التي يرن فيها الأذان في أركان مكة، فشق نورُ الأذان أعيناً عمياً، وأذاناً صمًا، وقلوبًا غلفًا .

✍ **فقال عكرمة بن أبي جهل:** لقد أكرم الله أبا الحكم حين لم يسمع هذا العبد يقول ما يقول!

✍ **وقال صفوان بن أمية:** الحمد لله الذي أذهب أبي قبل أن يرى هذا ^(١) .

✍ **وعامة قريش، في تأثر:**

﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢]

✍ **لكن :**

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٧]

أما المسلمون المستضعفون والذين يكتمون إيمانهم في مكة، في فرحة عارمة أن رأوا رسول الله - ﷺ - في وطنه الأول، يطوف بين أظهرهم .

✍ **الزواج من قرشية :**

وأراد النبي - ﷺ - أن يتخذ ذريعةً للتأثير على قريش، وتحريك القلوب، واستجاشة الذكريات، فنكح منهم امرأة، هي السيدة ميمونة بنت الحارث القرشية، خطبها، وأمهرها، وعقد عليها، بين ظهرانيهم، يريد بذلك أن يكسر من سورتهم، ويحرك بهذه الزيجة نياط قلوبهم .

(١) السيرة النبوية لابن كثير (٣ / ٤٣٨) .

الطرد :

وانقضت المدة التي قررتها قريش، وفي اليوم الثالث أرسل صناديد مكة إلى النبي ﷺ - سهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى، في نفر من قريش، وكانت قريش قد وكلت سهيلاً بالتفاوض عام الحديبية، ووكلت حويطباً بإخراج النبي ﷺ - فور انتهاء المدة.

فقالوا له : قد انقضت المدة !

✍ **فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - فِي أدب رفيع، وذوق لا حد له :**

"وَمَا عَلَيْكُمْ لَوْ تَرَكْتُمُوْنِي، فَأَعْرَسْتُ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ، وَصَنَعْنَا لَكُمْ طَعَامًا فَحَضَرْتُمُوْهُ" ^(١)، وإنما أراد تأليفهم بذلك .

﴿قَالُوا﴾ : لَا حَاجَةَ لَنَا فِي طَعَامِكَ ، فَاخْرُجْ عَنَّا !

ليست أرضك ولا أرض أبيك، بل هو أحق الناس بها، وهو أكرم من مشى عليها.
 ألا ليت شعري : ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ
 بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [القصص: ٨٥].

لعمرك الله ! إن المشركين تشددوا في إخراج النبي - ﷺ - من مكة في هذه العمرة؛ خشيةً منهم على عامة المشركين، أن يُفتنوا بأخلاق المسلمين، وخشوعهم، وبعذب حديث المصطفى ﷺ، وحلو منطقهم، وجميل بيانه، وعظيم أخلاقه، وكريم شمائله، فما إن تقع عليه عينك حتى يأسر قلبك أسراً.

لقد فعلت هذه العمرة بهم الأفاعيل، فنثرتهم شذر مذر، وفرقتهم شَعَرَ بَعَرَ، حتى أتت أكلها، فأسلم بسببها : خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة، فكان فتحًا مبينًا للإسلام .

ابنة حمزة :

وخرج رسول الله ﷺ - ، وقد علمت مكة بخروج المسلمين، فتنفس الصناديد الصعداء، وأفرخ روعهم .

وتبعته ابنه حمزة بن عبد المطلب تنادي: يا عم يا عم!

فالتفت إليها - ﷺ - بعيون قد مלאها الحنان والشفقة، وتناولها علي - رضي الله عنه - فأخذها بيدها وقال لفاطمة: دونك ابنة عمك.

فحملتها، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر، فقال علي: أنا أخذتها وهي ابنة

عمي.

وقال جعفر: ابنة عمي وخالتها تحتي .

وقال زيد: ابنة أخي [وقد آخى رسول الله ﷺ - بين زيد وحمزة].

فقضى بها النبي - ﷺ - لخالتها وقال: " الخالة بمنزلة الأم"^(١)

عاد المسلمون إلى ديارهم في المدينة، وقد أدوا عمرتهم، وقد صدقهم الله وعده:

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧].

ها قد رأيت رسول الله ﷺ - في هذه العمرة، وكيف كان صنيع أهل مكة معه، دخل إليهم كالغريب، وخرج عنهم كالغريب، ولم يقبلوا أن يمكث في وطنه فوق ثلاثة أيام، بل وگگلو له من يخرج له إذا انقضت المدة، ولعلمهم قد سمحوا له بإداء العمرة لا مروءة ولا شهامة إنما فعلوا ذلك خوفاً من كلام العرب، وخشية على سمعة قريش بين القبائل، وهم الذين يتفاخرون على الناس بأنهم يقرون الضيف، ويسقون الحجيح، ويصلون الرحم .

(١) السيرة النبوية لابن كثير (٣ / ٤٤٢) .

هل أحسست بالغصة التي كانت في حلق المسلمین جراء هذا التَّنكر والإيذاء ؟
هل استشعرت الكمد الذي كابده رسولُ الله - ﷺ - من قومه، وهم يقولون له :
" لا حَاجةَ لنا في طَعَامِكَ، فَأَخْرِجْ عَنَّا " .

هذا الذي تزدحم الخلائق حوله يوم القيامة، طلباً لشفاعته، فيقول : أنا لها ! أنا لها !^(١)
لم ييأس قط ، ولم تتسلل الهزيمةُ النفسية إلى قلبه، ويقول بكل بَيِّمان وثقة :
"بَلْ أَرْجُو أَنَّ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً"^(٢)

١- استحضِر قصة عمرة القضاء وأنت تطوف بالبيت
العتيق .

٢- ابحث في التراجم عن : عُوفَ بَنَ الْأَضْبَطِ الدَّيْلِيِّ -
رضي الله عنه - .

٣- استحضِر شعورَ النبي - ﷺ - عندما قال له قومه : " لا
حَاجةَ لنا في طَعَامِكَ، فَأَخْرِجْ عَنَّا "؛ ولتخرج من هذا التفكير
بصنِعةٍ عمليةٍ تخدم بها الإسلام .



(١) البخاري : ٦٩٥٦ .

(٢) البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (١٧٩٥) .

سببها أن رسول الله - ﷺ - أرسل الحارث بن عمير الأزدي - رضي الله عنه - برسالة إلى زعيم بُصْري بالشام . فعرض له شُرْحِيل بن عمرو الغساني - وكان زعيماً عربياً موالياً للرومان - فاعتقله، وأوثقه، ثم قدمه فضرب عنقه .

معركة مؤتة
جمادى الأول ٧ هـ -
أغسطس ٦٢٩ م

ولم يُقتل لرسول الله - ﷺ - غيرُه من الرسل والسفراء . وهي جريمة نكراء في أعراف جميع الشرائع والمثل والقوانين، توجب قيام الحرب والقصاص . وقد وَجَدَ - ﷺ - لذلك وَجْداً شديداً؛ فالرسل لا تُقتل، ومن يفعل ذلك يُعير بالغدر وقلة المروءة .

فجهز النبي - ﷺ - جيشاً للقصاص من دولة كبيرة قتلت رجلاً مسلماً، وفي ذلك دلالة على عظم قدر الفرد المسلم في دولة الإسلام، فله كرامة، وله حرمة، ومن أجل حريته تحييش الجيوش، ومن أجل دمه تُكْتَبُ الكتائب، فما أعظم نظام الإسلام إذا حكم، وما أكرم شريعة الله إذا طُبِّقَتْ !

وكان الجيش في هذه الغزوة، ثلاثة آلاف، وكان أميرهم زيد بن حارثة - رضي الله عنه - .

وقال النبي - ﷺ - : " إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ " (١)

توصية الجيش:

ثم وصى رسول الله - ﷺ - المجاهدين قائلاً: "أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيراً، أغزوا باسم الله، في سبيل الله من كفر بالله، لا تغدروا، ولا تقتلوا وليداً، ولا امرأة، ولا كبيراً فانياً، ولا منعزلاً بصومعة، ولا تقربوا نخلاً، ولا تقطعوا شجراً، ولا تهدموا بناءً، وإذا لقيتم عدوكم من المشركين فادعوهم الى إحدى ثلاث: فيما الاسلام، وإما الجزية، وإما الحرب.. " (٢) .

(١) البخاري: ٣٩٢٨ .

(٢) المغازي (٢/ ٧٥٧-٧٥٨) .

توديع الجيش :

قال ابن هشام : " فَلَمَّا حَضَرَ خُرُوجَهُمْ [أي المقاتلين] وَدَّعَ النَّاسُ أُمَرَاءَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَسَلَّمُوا عَلَيْهِمْ " (١) .

ويبدو من ذلك أن السنة النبوية تقتضي أن يشهد الناس توديع الجيوش الإسلامية، لما في ذلك من شحذ همم المقاتلين، وفي هذه السرية خرج النبي - ﷺ - بنفسه الكريمة يودع الجيش، ويحمسهم، ويوصيهم .

من مناقب عبد الله بن رواحة :

وفي أجواء التوديع، بكى عبد الله بن رواحة - رضي الله عنه - ، فقالوا : مَا يُبْكِيكَ يَا بَنَ رَوَاحَةَ ؟ فَقَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ مَا بِي حُبِّ الدُّنْيَا ، وَلَا صَبَابَةٌ بِكُمْ ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقْرَأُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، يَذْكُرُ فِيهَا النَّارَ : { وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا } فَلَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ لِي بِالصَّدْرِ بَعْدَ الْوُرُودِ (٢) .

ثم قَالَ الْمُسْلِمُونَ : بَصَحِكُمْ اللَّهُ ، وَدَفَعَ عَنْكُمْ ، وَرَدَّكُمْ إِلَيْنَا صَالِحِينَ !

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ :

لَكِنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً ... وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْعٍ تَقْذِفُ الرَّبْدَا
أَوْ طَعْنَةً بِيَدَيَّ حَرَّانَ مُجْهِزَةً ... بِحَرِيَّةٍ تُنْفِذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكِبْدَا
حَتَّى يُقَالَ إِذَا مَرَّوَا عَلَى جَدَثِي ... أَرْشَدَهُ اللَّهُ مِنْ غَايٍ وَقَدْ رَشَدَا (٣)

ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ تَهَيَّأُوا لِلْخُرُوجِ فَأَتَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فَوَدَّعَهُ ثُمَّ قَالَ :

فَثَبَّتَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنِ ... تَثْبِيتَ مُوسَى وَنَصْرًا كَالَّذِي نُصِرُوا
إِنِّي تَقَرَّرْتُ فِيكَ الْخَيْرَ نَافِلَةً ... اللَّهُ يَعْلَمُ أَيَّ ثَابِتٍ الْبَصَرِ
أَنْتَ الرَّسُولُ فَمَنْ يُحَرِّمُ نَوَافِلَهُ ... وَالْوَجْهَ مِنْهُ . فَقَدْ أَرَزَى بِهِ الْقَدْرَ (٤)

(١) سيرة ابن هشام (٢ / ٣٧٣) .

(٢) سيرة ابن هشام (٢ / ٣٧٣) .

(٣) سيرة ابن هشام (٢ / ٣٧٣) .

(٤) سيرة ابن هشام (٢ / ٣٧٣) .

مجلس شورى :

ثم مضى الجيش الإسلامي قدماً نحو الشمال، حتى نزلوا "معان" من أرض الشام، فبلغ المسلمين أن هرقل قد نزل "ماب"، من أرض البلقاء، في مئة ألف من الرومان، وانضم إليهم عرب الشمال المواليين لهم في مئة ألف أيضاً، فكانت عدتهم جميعاً مئة ألف. فلما بلغ ذلك المسلمين، فأقاموا على "معان" ليلتين، يبحثون، ويفكرون في أمرهم، وتشاوروا في ذلك مراراً :

فَقَالَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ : نَكْتُبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَنُخْرِجُهُ بِعَدَدِ عَدُونَا ، فَإِمَّا أَنْ يُمِدَّنَا بِالرَّجَالِ وَإِمَّا أَنْ يَأْمُرَنَا بِأَمْرِهِ فَنَمُضِيَ لَهُ ^(١) .

فَشَجَعَ النَّاسَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، وَقَالَ : يَا قَوْمَ ، وَاللَّهِ إِنْ التَّيَّ تَكَرَّهُوْنَ لِلَّتِي خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ : الشَّهَادَةَ .. وَمَا نُقَاتِلُ النَّاسَ بِعَدَدٍ وَلَا قُوَّةٍ وَلَا كَثْرَةٍ ، مَا نُقَاتِلُهُمْ إِلَّا بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِهِ ، فَانْطَلِقُوا ، فَإِنَّمَا هِيَ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ إِمَّا ظُهُورٌ وَإِمَّا شَهَادَةٌ ^(٢) .

فحركت مشاعرهم هذه الكلمات وثبتتهم، وجمعت رأيهم على المضي نحو النصارى الذين قتلوا رسول رسول الله ﷺ - .

لابد أن يشتمل الجيش على الخطباء المجاهدين، الذين تخرج من قلوبهم الكلمات الملهبة التي توقظ النفوس، وتشحذ العزائم، وتثبت الأقدام، وتحقق الصبر . [فإذا كان الصبر كان النصر] .

وأخذ عبد الله بن رواحه - رضي الله عنه - يواصل التشجيع، فأخذ ينشد في الجيش :

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ أَجَاٍ وَفَرَعٍ ... تُغَرِّمُ الْحُشِيشَ لَهَا الْعُكُومُ
حَذُونَاهَا مِنَ الصَّوَانِ سَبْتًا ... أَرَزَلْ كَأَنَّ صَفْحَتَهُ أَدِيمُ
أَقَامَتْ لَيْلَتَيْنِ عَلَى مَعَانٍ ... فَأَعْقَبَ بَعْدَ فِتْرَتِهَا جُمُومُ
فَرَحْنَا وَالْحَيَادُ مُسَوَّمَاتٌ ... تَنْقَسُ فِي مَنَاخِرِهَا السُّمُومُ

(١) ابن هشام - (٢ / ٣٧٥) .

(٢) ابن هشام - (٢ / ٣٧٥) .

فَلَا وَابِي مَابَ لَنَايْنَهَا ... وَإِنْ كَانَتْ بِهَا عَرَبٌ وَرُومٌ
فَعَبَانَا أَعْتَتَهَا فَجَاءَتْ ... عَوَابِسَ وَالْغُبَارُهَا بَرِيمٌ
بِذِي لَجَبٍ كَأَنَّ الْبَيْضَ فِيهِ ... إِذَا بَرَزَتْ فَوَانِسُهَا النُّجُومُ
فَرَاضِيَةُ الْمُعِيشَةِ طَلَّقَتْهَا ... أَسْتَتَّهَا فَتَنَكَّحُ أَوْ تَيْيَمُ^(١)

❦ لِقَاءُ الرُّومَانِ :

فَمَضَى النَّاسُ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِتُخُومِ الْبَلْقَاءِ، كَانَتْ الْحَرْبُ عَلَى أَرْضِ مُؤْتَةَ^(٢)،
وَبَدَأَتْ الْمَعَادِلَةُ الصَّعْبَةُ، ثَلَاثَةَ آلَافٍ فِي مَوَاجِهَةِ مِئَتِي أَلْفٍ، إِنْ صَمُودَ الْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ
الْمَعْرَكَةِ الْعَجِيبَةِ لَهوٌ مِنْ أَعَاجِيبِ الدَّهْرِ وَأَغَارِيبِ الزَّمَانِ .

أَمَّا الْقَائِدُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَقَاتَلَ فِي بَسَالَةٍ مَنَقُطْعَةِ النَّظِيرِ حَتَّى قُتِلَ ..
فَأَخَذَ الرَّايَةَ جَعْفَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، فَقَاتَلَ فِي ثَبَاتٍ كَالْجَبَلِ الْأَشْمِ حَتَّى أَرْقَهَقَهُ
الْقِتَالُ، فَنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَعَقَرَهُ، وَقَاتَلَ حَتَّى قُطِعَتْ يَمِينُهُ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ بِشِمَالِهِ،
فَقُطِعَتْ، فَاحْتَضَنَهَا بَعْضُ دِيهِ، وَكَأَنَّهَا الرَّايَةَ عِنْدَهُ أَكْرَمَ مِنْ رُوحِهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَرْفَعُهَا حَتَّى
شُقَّ نَصْفَيْنِ، فَبَادَلَهُ اللَّهُ بِيَدَيْهِ جَنَاحَيْنِ فِي الْجَنَّةِ، يَطِيرُ بِهِمَا أَيْنَمَا شَاءَ .

❦ وَكَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقَاتِلُ وَهُوَ يَقُولُ :

يَا حَبْدَا الْجَنَّةِ وَأَقْتِرَابُهَا ... طَيِّبَةً وَبَارِدًا شَرَابُهَا
وَالرُّومُ رُومٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا ... كَافِرَةٌ بَعِيدَةٌ أَنْسَابُهَا^(٣)

❦ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو :

كُنْتُ فِيهِمْ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ فَالْتَمَسْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَوَجَدْنَاهُ فِي الْقَتْلِ وَوَجَدْنَا
مَا فِي جَسَدِهِ بِضْعًا وَتِسْعِينَ مِنْ طَعْنَةٍ وَرَمِيَةٍ^(٤) .

وَلَمَّا قُتِلَ جَعْفَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ،
وَتَقَدَّمَ، فَجَعَلَ يَتَرَدَّدُ، فَجَعَلَ يَسْتَنْزِلُ نَفْسَهُ، وَيَتَرَدَّدُ بَعْضُ التَّرَدُّدِ ثُمَّ قَالَ - يَشْجَعُهَا - :

(١) ابن هشام - (٢ / ٣٧٥) .

(٢) ابن هشام (٢ / ٣٧٧) .

(٣) ابن هشام (٢ / ٣٧٨) .

(٤) البخاري : ٣٩٢٨ .

✍️ وَقَالَ أَيْضًا :

~~فقه القيادة :~~

من معجزات النبي - ﷺ :

(۴) انظر: ابن هشام (۲ / ۳۷۸).

أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأَصِيبَ [وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ] حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ^(١).

سمى النبي ﷺ - انسحاب الجيش الإسلامي في هذه المعركة فتحًا. وذلك لجسامة المهمة، وقلة العدة أمام هذه الجيش النصراني العرمرم، وقد كان القتال في أرضهم، ومع ذلك كان فتحًا في لأسباب :

- ١- أن المسلمين أسقطوا هيبة الرومان في المنطقة .
- ٢- أن عدد قتلى المسلمين أقل بكثير من عدد قتلى النصارى، فقد كان قتلى المسلمين لا يتعدى ثلاثة عشر ، بينما قتل من النصارى نحو ثلاثة آلاف - في بعض الأقوال - .
- ٣- أن مهابة المسلمين زادت في نفوس العرب خاصة، والأمم الأخرى عامة، وذلك لأنه لم يسبق أن أحدًا تجرأ على حرب دولة عظمى إلا دولة عظمى مثلها..
- ٤- مقتل قائد جيوش العرب المواليين للرومان، وهو مَالِكُ بْنُ زَافِلَةَ، وَكَانَ قُطْبَةُ بْنُ قَتَادَةَ الْعُدْرِيَّ - رضي الله عنه - الَّذِي كَانَ عَلَى مَيْمَنَةِ الْجَيْشِ الْإِسْلَامِيِّ قَدْ حَمَلَ عَلَى مَالِكِ بْنِ زَافِلَةَ هَذَا فَقَتَلَهُ، وَفِي ذَلِكَ قَالَ قُطْبَةُ بْنُ قَتَادَةَ :

طَعَنْتُ ابْنَ زَافِلَةَ بْنِ الْإِرَا .. شِ بِرُمُحٍ مَضَى فِيهِ ثُمَّ انْحَطَمَ
ضَرَبْتُ عَلَى جِيدِهِ ضَرْبَةً ... فَمَالَ كَمَا مَالَ غُصْنُ السَّلَمِ
وَسُقْنَا نِسَاءَ بَنِي عَمِّهِ ... غَدَاةَ رُقُوقِينَ سَوَّقِ النَّعَمِ

- ٥- بزوغ نجم قائد عسكري عالمي كبير - هو خالد بن الوليد - الذي زلزل، عروش الرومان، وقد كان مصدر رعب مربع لطواغيت أوروبا .

- ٦ - غنائم المسلمين في هذه الغزوة، تدل على ذلك، وقد أبانت قصة "الحميري" التي في صحيح مسلم^(٢) شيئاً من الغنائم التي غنمها المسلمون في هذه الغزاة، وسنذكرها في ختام الغزوة.

قدوم الجيش:

لَمَّا اقْتَرَبَ الْجَيْشُ الْإِسْلَامِيُّ مِنَ الْمَدِينَةِ، تَلَقَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَالْمُسْلِمُونَ - وَلَقِيَهُمُ الصَّبِيَّانُ، يَشْتَدُونَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ - مُقْبِلٌ مَعَ الْقَوْمِ عَلَى دَابَّةٍ فَقَالَ :

(١) البخاري: ٣٩٢٩.

(٢) انظر: مسلم: ٤٦٦٩.

"خُذُوا الصَّبِيَّانَ فَاحْمِلُوهُمَا، وَأَعْطُونِي ابْنَ جَعْفَرٍ" (١)

فَأَتَى عَبْدُ اللَّهِ فَأَخَذَهُ فَحَمَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ .

وَجَعَلَ النَّاسَ يَخْتُونُ عَلَى الْجَيْشِ التَّرَابَ، وَيَقُولُونَ : يَا فُرَّارُ ! فَرَزْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ !
فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :-

"لَيْسُوا بِالْفُرَّارِ، وَلَكِنَّهُمْ الْكُرَّارُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى" (٢) .

وصية النبي ﷺ - بآل جعفر :

قَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عَمِيْسٍ امْرَأَةُ جَعْفَرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - :

لَمَّا أُصِيبَ جَعْفَرٌ وَأَصْحَابُهُ دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - وَقَدْ دَبَغَتْ أَرْبَعِينَ مَنًا،
وَعَجَنْتُ عَجِينِي، وَغَسَلْتُ بَنِيَّ، وَدَهَنْتَهُمْ، وَنَطَقْتَهُمْ . فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :-

"اَتْسِينِي بِبَنِي جَعْفَرٍ ؟"

قَالَتْ : فَأَتَيْتُهُ بِهِمْ فَتَشَمَّمْتُهُمْ وَذَرَفْتُ عَيْنَاهُ !

فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا يُبْكِيكَ ؟ أَبْلَغَكَ عَنْ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ

شَيْءٌ ؟

قَالَ : "نَعَمْ، أُصِيبُوا هَذَا الْيَوْمَ" .

قَالَتْ : فَقُمْتُ أَصْبَحُ، وَاجْتَمَعَتْ إِلَيَّ النِّسَاءُ وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - إِلَى أَهْلِهِ .

فَقَالَ : "لَا تُغْلُوا آلَ جَعْفَرٍ مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا لَهُمْ طَعَامًا، فَإِنَّهُمْ قَدْ شُغِلُوا بِأَمْرِ

صَاحِبِهِمْ" (٣)

حزن النبي ﷺ - على قادة مؤتة :

عن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ :

لَمَّا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - قَتَلَ ابْنُ حَارِثَةَ، وَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ
رَوَاحَةَ، جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - يُعْرِفُ فِيهِ الْحُزْنَ .

قَالَتْ عَائِشَةُ : وَأَنَا أَنْظُرُ مِنْ صَائِرِ الْبَابِ - شَقَّ الْبَابِ - فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ
اللَّهِ إِنَّ نِسَاءَ جَعْفَرٍ ... وَذَكَرَ بِكُمُ الْهَنَ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَذْهَبَ فَيَنْهَاهُنَّ، فَذَهَبَ فَأَتَاهُ، فَذَكَرَ

(١) ابن هشام (٢) / ٣٨٢ .

(٢) ابن هشام (٢) / ٣٨٢ .

(٣) ابن هشام (٢) / ٣٨٠ .

﴿فَقَالَ: "اذْهَبْ فَاحْثُ فِي أَفْوَاحِهِنَّ مِنَ التُّرَابِ".﴾

قلتُ: لعل النبي ﷺ - قال ذلك - "أَذْهَبَ فَاخْتُ فِي أَفْوَاهِهِنَّ مِنَ التُّرَابِ" - لَمَّا أَفْرَطْنَ فِي الْعَوِيلِ عَلَى جَعْفَرٍ، أَوْ بَلَغَهُ أَنَّهُنَّ فَعَلْنَ بِفَعَالِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَصَائِبِ مِنْ لَطَمٍ وَشَقٍّ وَنَحْوِهِمَا .

في هذه الغزوة قتل رجل من حمير رجلاً من الرومان، فأراد المسلم أن يأخذ سلب الرومي، وكان سلباً في ذهب كثير، فمنعه خالد بن الوليد - رضي الله عنه - وقد استكثر هذا السلب الثمين لفرد واحد .

~~فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - لِحَالِدٍ :~~

✍ قال: استغفرته يا رسول الله!

✍ قَالَ: "ادْفَعُهُ إِلَيْهِ!"

إلى هنا قد أدى عوف بن مالك ما عليه من تبليغ شكاية الحميري .

ولكن عوف - رضي الله عنه - صنع أمراً أغضب رسول الله ﷺ - إذ أخذ عوف ببرداء خالد - رضي الله عنه - وقال : هَلْ أَنْجَزْتُ لَكَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ - (٢) - ؟

(۱) البخاری ۳۹۳۰.

(٢) وكان عوف قد راجع خالداً حينما أخذ سلب الحميري، وذكره أن رسول الله ﷺ - قضى بالسلب للقاتل.

﴿ فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - . فَاسْتَعْصَبَ ، وَقَالَ :

" لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ ! لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ ! هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي أَمْرًاي ؟ إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَرْعِيَ إِبِلًا أَوْ غَنَمًا فَرَعَاهَا ، ثُمَّ تَحَيَّنَ سَقِيئَهَا فَأَوْرَدَهَا حَوْضًا فَشَرَعَتْ فِيهِ ، فَشَرِبَتْ صَفْوَهُ ، وَتَرَكَتْ كَذْرَهُ ، فَصَفْوَهُ لَكُمْ ، وَكَذْرَهُ عَلَيْهِمْ " (١) .

﴿ قَالَ النُّووي : " ومعنى الحديث أن الرعية يأخذون صفو الأمور فتصلهم أعطياتهم بغير نكد وتبلي الولاية بمقاساة الأمور ، وجمع الأموال على وجوهها وصرفها في وجوهها ، وحفظ الرعية والشفقة عليهم والذب عنهم وإنصاف بعضهم من بعض ثم متى وقع علة أو عتب في بعض ذلك توجه على الأمراء دون الناس " (٢) .

" وفي الحديث دليل على أن للإمام أن يعطي السلب غير القاتل لأمر يعرض فيه مصلحة من تأديب أو غيره " (٣) .



١- اكتب بحثاً عن الشهداء الثلاثة .

٢- اجمع ما قيل من الشعر في غزوة مؤتة ، [ففيه من المعاني الكثيرة في الشجاعة والفداء والتضحية] .

٣- توقيف أمراء الدعوة ، وعلمائها ، ومشايخها .



(١) مسلم : ٣٢٩٧ .

(٢) شرح النووي على مسلم (١٢ / ٦٥) .

(٣) عون المعبود (٧ / ٢٧٩) .